المذابح ضد اليهود العاديين، ولم يحصل ذلك صدفة، بل كان في صلب ايديولوجيا الطرفين التي تلتقي على كون اليهود أمّة لا مكان لها بين الأمم الأخرى، هذا من جانب، ومن جانب آخر فان هذا اللقاء الايديولوجي بين «العنصرية والعنصرية»، حسب تعبير الكاتبة، توّج آنذاك باتفاقيات صهيونية ــ نازية مشتركة، التقت فيها مصالح الطرفين مباشرة. هتلر إذاً لم يدرك خطورة الصهيونية في حال استفحالها، بل أعطاها فرصتها التاريخية لتحقيق مشروعها ــ الدولة. ومحاولة «دحض التهم» الموجهة للحاج أمين لا تكون باسباغ الرؤية التاريخية الصحيحة بشأن الصهيونية وخطورتها، على هتلر، تبريراً لاتصالات الحاج أمين مع المانيا النازية آنذاك.

النموذج الثاني ويتعلق بحادثة البراق، ولنا بصددها، أيضاً، ملاحظتان:

الأولى تتعلق بمحاولة الكاتبة اقناع القارىء بدور أساسي للقيادات التقليدية في التحرك العفوي الجماهيري المقترن بحادثة البراق. وهي في محاولتها هذه تتجاوز من جديد، جميع الوثائق التي كانت قد أوردتها في النص، والتي تبين دعوة القيادات التقليدية آنذاك للتهدئة وايقاف العنف (ص ٢٢٨ و ٢٢٩)، لتقدم للقارىء تاليا (٢٣٠ ــ ٢٣٣) محاولة للتأكيد على الدور التاريخي المسؤول للحاج أمين الحسيني في تسيير هذه الأحداث، دون ان تدعم ما تقول بأي وثيقة او مرجع، باستثناء اشارتها لتأكيدات رجال الحاج أمين على ذلك، (أنظر، في هذا العدد، بهذا الصدد دراسة للسيد علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، مدرسة جامع الاستقلال ١٩٢٢ ــ ١٩٣٥).

الملاحظة الثانية تتعلق بتعليق الكاتبة على موقف الحزب الشيوعي الفلسطيني من انتفاضة البراق، ففي حين يرى الحزب ان احداث البراق في جوهرها انتفاضة فلاحية ضد المستعمر البريطاني ــ الصهيوني، تتصدى الكاتبة للرد على هذا الموقف مرجحة الأسباب الدينية لهذا التحرك الشعبي (ص ٤٨٤)، والكاتبة هنا تتناقض مع ما سبق ان اشارت اليه عن وعي الفلاحين للأخطار السياسية لوعد بلفور والهجرة الصهيونية، والذي كان جلياً في نصوص عرائضهم المقدمة الى لجنة التحقيق؛ حيث طالبوا في تلك العرائض بتأسيس حكومة وطنية نيابية (ص ٢٢٨). أما ان تكون «الشعرة التي قصمت ظهر البعير» هي حادثة البراق، ذات المظهر الديني المباشر، فان ذلك لا يمنع اطلاقاً من ان يكون جوهر الانتفاضة اجتماعي ــ سياسي، بل هو فعلاً كذلك؛ فالظروف الاجتماعية ــ الاقتصادية الناجمة عن الهجرة الصهيونية والنفوذ البريطاني صعدّت الأزمة في أوساط الجماهير الشعبية، وبخاصة الفلاحين، المتضررين مباشرة من تجيير الأراضي للصهاينة، والذين لم يعد بامكانهم احتمال الظروف القائمة فعبروا عنها في أول فرصة، فكان ما عرف بانتفاضة البراق.

أما الملاحظات الاجمالية على الكتاب ككل فنلخصها بالتالي:

أولاً ــ على الرغم من ان عنوان الكتاب يشير الى موضوع محدد هو «جزء» من «كل» الحركة الوطنية الفلسطينية أي قيادتها السياسية، ابان السيادة البريطانية، فان الكتاب في مضمونه وتفصيلاته اتخذ طابع تأريخ موسوعي للقضية الفلسطينية برمتها خلال الفترة، موضوع البحث؛ اذ تكاد الكاتبة لا تترك «شاردة أو واردة» دون ان تقحمها بالنص. بمعنى ان الكاتبة لم تعط نفسها الوقت الكافي للتمحيص والتدقيق بالأدبيات والمراجع المتوافرة لديها، فجاء طرح العديد من القضايا متناقضاً مع السياق الموضوعي للبحث. بمعنى آخر لم يتناول الكتاب النقطة المركزية بما يُوحي به العنوان. فضلاً عن وجود عناوين لبنود عديدة لا تشير الى ما تلاها من مضمون.

ثانياً ــ وضعت الكاتبة بين أيدي القارىء المعلومات والمراجع، بأمانة عالية، الا انها في العديد من الصفحات تقدمت بآراء وتحليلات تتناقض مع معطيات المراجع التي تتناولها في التحليل (ملاحظاتنا السابقة بشأن حادثة البراق هي مثال على ذلك). مثال آخر نسوقه هنا بصدد دفاع الكاتبة عن سياسة الحاج أمين، والذي يكاد القارىء يلحظه عبر مجمل صفحات الكتاب، رغم ان الوقائع التاريخية المبينة في المراجع والوثائق، وشهود المرحلة أنفسهم، تشير جميعاً الى غير ما ذهبت اليه الكاتبة.

كلمة أخيرة، لقد بذلت الكاتبة جهداً كبيراً وحقيقياً في جمع الوثائق وتصنيفها وحفظها، وفي